مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد07 / العـدد: 01 (2021)، ص 352- 372

الاتصال العمراني في قصور "تاغيت"

Urban communication in Taghit Palaces

د. خالدي سعاد [*1]
[1] جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، souad.khaldi@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/06 تاريخ القبول: 2021/05/18 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

تحاول الباحثة من خلال هذه الورقة، البحث في جدلية الوظيفة الدلالية أو التواصلية للهندسة المعمارية من خلال تسليط الضوء على تحفة معمارية في الصحراء الجزائرية بولاية بشار ألا وهي قصر تاغيت.

ما يدعونا إلى هذه الدراسة هو تباين العمارة عبر الأزمنة والأمكنة فالعمارة الإسلامية تختلف عن تلك المسيحية والبوذية وغيرها، كما أنها تختلف على مر العصور وهذا يطرح التساؤل حول تجاوز العمارة الهدف البيولوجي والسوسيولوجي للبناء إلى ما هو أبعد بكثير وأقرب إلى التعبير.

حاولت الباحثة من خلال هذا العمل التركيز على نظرية "لوي ساليفان" ومبدأ الملاءمة العضوية أو "العمارة العضوية" التي تعتبر الطبيعة مصدرا للإلهام لدرجة تزاوج العمارة مع الطبيعة لخلق الوظيفة وهو ما أطلق علية "ساليفان" "نظرية الوظيفة" أي أن الشكل يتبع الوظيفة.

كلمات مفتاحية: الهندسة المعمارية، الفن، الاتصال المعماري، الوظيفة الاتصالية للهندسة المعمارية، قصر تاغيت، لوي ساليفان، العمارة العضوية.

Abstract:

Through this paper, the researcher attempts to discuss the dialectic of the semantic or communicative function of architecture by highlighting an architectural masterpiece in Bechar which is Taghit Palace.

What calls us to this study is the variation of architecture across times and places. Islamic architecture differs from that of Christianity, Buddhism and others, it also differs over the ages. This raises the question about architecture exceeding the biological and sociological goal of building to far beyond and closer to expression.

[*] المؤلف المرسل

The researcher focuses on "Louis Salivan" theory and the principle of "organic architecture", where nature inspire architecture to intermarries with nature and create a job, this is called "The theory of function".

Keywords: Architectural communication, Art, Communicative function of architecture, Taghit Palace, Bechar, Louis Sullivan, Organic architecture.

1. مقدمة :

لقد شكلت العمارة منذ القدم ملاذا للإنسان من مؤثرات الطبيعة غير المرغوب فيها وكذا ملجأ له من الهلاك المترتب عن تحرشات الوحوش.

هكذا ولوقت طويل، ظل الإنسان يرى العمارة، حتى أن "هيجل" ربطها بالمنفعة والحاجة التي يؤديها فن العمارة للإنسان كالمأوى والعبادة واستبعد مدلولها الفني أو الاتصالي. غير أن "لويس" رأى أن العمارة مرادف للاستعمال الجيد للفضاء وهذا هو مغزى التصميم الذي لا يكون مريحا إلا إذا تجاوب مع أهداف السكن وقوانين الطبيعة، سلوك الإنسان وحاجياته فضلا عن أفكاره وخيالاته(برواق، 2012: 116).

في أواخر القرن 19 وأواخر القرن العشرين توجه اهتمام بعض السميائيين ضمن سميولوجيا الهندسة المعمارية إلى البحث في جدلية الوظيفة الدلالية والاتصالية للعمارة أين رأى البعض أن الرمز الهندسي لا يملك القدرة على خلق معنى بينما قال البعض الآخر أمثال " سيد لمير" و" فو سيمون" أنه لها معان تمررها. إن التاريخ المعماري يكشف تباينا للعمارة عبر الأزمنة والأمكنة فالعمارة الإسلامية تختلف عن تلك المسيحية والبوذية وغيرها، كما أنها تختلف على مر العصور وهذا يطرح التساؤل حول تجاوز العمارة الهدف البيولوجي والسوسيولوجي للبناء إلى ما هو أبعد بكثير وأقرب إلى التعبير.

إنه الحال بالنسبة للفرق بين العمارة في المدينة والريف وهو الحال كذلك بين المناطق الساحلية والصحراوية، حيث تشهد صحراء الجزائر تحفا معمارية عرفت بالقصور كقصر "تاغيت" الكائن بولاية بشار في الجنوب الشرقي للجزائر.

إن الإبداع في الهندسة المعمارية لقصور "تاغيت" يفرض علينا البحث في ما وراء الرمز الهندسي، هل هو فن فرضته طبيعة الفضاء الصحراوي أم هي رسائل اتصالية تربط المكان بالحضارة لتحكي رواية الزمن؟

2. الهندسة المعمارية وجدلية الوظيفة الدلالية، التواصلية:

1.2 الوظيفة الدلالية:

يرى إفريست. د. سميث أن "الواجهة المعمارية أمثولا لموضوع المبنى ضمن علامة تتزامن من خلالها ازدواجية الإحالة الوظيفية والانتضامية"(برواق، 2012:125)، فالهندسة المعمارية من خلال ما تثيره من جملة القيم كالعصرنة، الثقافة، البذخ هي دليل واضح على الوظيفة الإجتماعية، كالمسارح، البلديات ودورالعبادة مثلا، حتى أحيانا قد يشير الرمز الهندسي إلى اختلاف الطبقات الاجتماعية وهذا ما كان واضحا من خلال المساكن التي كان يقطنها عائلات الاحتلال الفرنسي والسكان الجزائرين المحليين.

كما أن طريقة البناء من تقنية، المواد المستخدمة، وشكله قد تكون رمزا للدراية العلمية والفكرية، الحالة الإجتماعية، الاقتصادية وحتى الانتساب العرقي.

إن الرمز المعماري يتحول أحيانا إلى علامة عرفية أي علامة رمزية من خلال دلالته المستنبطة عن الأعراف، التقاليد والعادات فمثلا أسلوب اعتماد الأعمدة العمودية الضخمة عند مدخل البناء دليل على أنه مبنى رسمي كقصر الجمهورية، القنصليات، المحاكم وغيرها وهذا نسبة إلى العرف الإغريقي القديم.

2.2 الوظيفة التواصلية:

يقول إدوارت هال في كتابه اللغة الصامتة " أن التجارب وبشكل غير واع تعلمنا أن المكان يتواصل ولكن إدراك المكان يتم بشكل مختلف من ثقافة إلى أخرى"(برواق، 2012: 128)، ففي بعض الأحيان ومن خلال ديناميكية التفاعل المكاني نحدد طبيعة الاتصال والعلاقة بين المرسل والمستقبل، بحيث تزداد مسافة المحادثة بين الغرباء وتقل بين الأهل

والأصدقاء. وعليه فالعلامة المعمارية تضمن التواصل الاجتماعي لأنها فن والفن وسيلة الحفظ وتواصل القيم(برواق، 2012: 128).

إن العمارة "شكل من أشكال الاتصال غير اللفظي مثلما هو الحال تماما بالنسبة للمعابد، بحيث تقترن وظيفتها برسالة المعتقدات والقداسة الدينية، وهذه الرسائل المشفرة تفهم كلغة حقيقة."(هال، 2007: 230)

وتعتبر الهندسة المعمارية من وسائل الاتصال الباردة التي تستلزم مشاركة قوية لمستعمليها، وهذا ما لا يجعلها لغة بالمعنى الدارج لأن كل متلقي يخلق مفهومه الخاص، فالهندسة المعمارية بعيدة عن فرض رسالتها، لا تتضمن حروف أو فقرات ولكن مرادفاتها ملموسة في الأشكال ومقاييس المساحات والواجهات التي تختلف من حيث الشكل، الأبعاد الألوان.

ومما يعزز الوظيفة التواصلية للعلامة المعمارية كونها علامة فنية، سماتها كعلامة فنية حيث يرى لوتمان أنها تواصلية ونظام نمذجة في آن واحد، وتتضمن الرسائل الفنية من رسم، تصوير، نحت وبناء مجموعة من الرسائل المشفرة التي تنبثق من المرسل إلى المستقبل الذي يفك شفرتها ويستوعبها بما يحمله من مخزون ثقافي، عقائدي واجتماعي وغيرها...

3. عناصر التعبير المعماري:

إن الهندسة المعمارية هي فن يحمل رموزا عديدة ذات دلالات ومعاني تحاول تزويد وظيفة الاستخدام بالجمالية الرمزية التي تضفي استمتاعا بصريا وإدراكيا لدى المشاهد لتقوية العلاقات معه من خلال الرسائل المشفرة، " فالأشكال والألوان والفراغات لكل منها دلالات رمزية تختلف باختلاف التركيبة التي تجمعهم والطريقة التي يصاغون بها. إن هذه الدلالات تتحدد من خلال الأشكال والخطوط والألوان والفراغات والضوء..." (برواق، 2012: 156)،

1.3 قصر تاغيت جذور وحضارة:

شيد قصر تاغيت في القرن الحادي عشر، ويبقى شاهدا على براعة وإبداع إثنين من الأولياء الصالحين وهما "سيد سليمان" ومرابط سيد أحمد" من قبيلة عمارة، حيث اشتهرا بكونهما من أصلاء وادي الساحل والساقية الحمراء(الشيرازي، كمال،2009 ،10 مارس، *قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون*، تم استرجاعها في تاريخ: 2019/02/23 من الموقع https://elaph.com/Web/Reports/2009/3/417846.html).

يتربع القصر على "هضبة صخرية متجهة شرقا صوب الكثبان الكبيرة ومتصدرة يمينا باتجاه وادي زوسفانا وواحته في الأسفل، ويطل هذا القصر على قرية تاغيت الأثرية المحصنة" (الشيرازي، كمال،2009 ،10 مارس، *قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون*، تم استرجاعها في تاريخ: 2019/02/23 من الموقع https://elaph.com/Web/Reports/2009/3/417846.html) المعروفة بالقصر العتيق أو القديم.

يتكون القصر العتيق من 120 منزلا(رمضاني، المعتز بالله، *تاغيت.. لؤلؤة الصحراء الجزائرية الساحرة*، تم استرجاعها في تاريخ: 2019/02/23 من الموقع http://www.hayatweb.com/article/111086) ظلت معظمها صامدة بفضل عمليات الترميم، ولكن يبقى القصر اليوم غير آهل بالسكان حيث رحلت آخر عائلة منه سنة 1991 (الشيرازي، كمال،2009 ،10 مارس، قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون، تم استرجاعها في تاريخ: 2019/02/23 من الموقع https://elaph.com/Web/Reports/2009/3/417846.html).

إن قصر تاغيت العتيق يعد تحفة معمارية امتزجت بالطبيعة دون الاخلال بها، فالمتجول في أزقته الضيقة يكاد يرى مدى تزاوج مواد البناء وأرضية القصر بالطبيعة حيث يقول المهندس مروان تاغيتي أن القصر بني من مواد طبيعية مستخرجة من تراب الوادي وممزوج بالنجارة وهي مادة قوية تواجه تقلبات الطبيعة، كما أن القصر يضمن

الرفاهية من خلال توفير البرودة أثناء الصيف والحرارة خلال فصل الشتاء، وهو ما يجعله مميزا ومتحديا للطبيعة الصحراوية (الشيرازي، كمال،2009 ،10 مارس، *قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون*، تم استرجاعها في تاريخ: 2019/02/23 من الموقع https://elaph.com/Web/Reports/2009/3/417846.html).

كما يعد القصر جزء من الطبيعة باعتباره مؤسسا على هضبة صخرية طبيعية صنعت البدايات والنهايات للأزقة والساحات، حيث يقول بول لاغات "أن الدخول إلى قرية تاغيت في الخمسينيات، كان يتم عن طريق باب منخفضة تؤدي بالزائر إلى الغوص داخل شوارع ضيقة متشابكة بين المنازل حيث تجدها تارة تصعد وتارة أخرى تنحدر لتغير فجأة الاتجاه حسب تقلبات الأرضية وبحسب ابتكارات المعماريين"(الشيرازي، كمال،2009 ،10 مارس، *قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون*، تم استرجاعها في تاريخ: 2019/02/23 من الموقع https://elaph.com/Web/Reports/2009/3/417846.html). (أنظر الصورتان 1، 2)

2.3 عناصر التعبير المعماري في قصر تاغيت:

1.2.3 القصر والطبيعة:

من مبادئ العمارة العضوية حسب لوي ساليفان وفرانك لويد رايت أن يكون المعماري خلاقا من الطبيعة أي أن يستوحي المعماري تصميمه من الطبيعة في تناغم وتناسق دون الإخلال بالمنظر العام للمنطقة، وهذا ما نجده في قصر تاغيت، حيث ولد القصر من رحم الطبيعة وبموادها الطبيعية حيث بني القصر على هضبة صخرية اعتبرت أساس القصر، وحتى أحيانا كانت بمثابة تعبيد طرقات الأزقة، ولم يتم استبعادها وإنما حافظ المعماري عليها في تصميم المنازل وأماكن تواجدها. (أنظر الصور من 3 إلى 6)

كما أن المعماري استخدم المواد الخام الموجودة في المنطقة لبناء القصر من أتربة على الواد، حجارة، رمال، جذوع النخيل و أوراقها، وهذا ما جعله قويا في وجه التغيرات

المناخية عبر القرون ومنح للسكان الدفء في الشتاء والبرودة في الصيف. (أنظر الصور من 7 إلى 10)

كما أن مبدأ تحقيق العضوية في المباني عنصر هام في اتحاد فكر المصمم مع الطبيعة حيث نلاحظ انسجام كل وحدات القصر مع بعضها البعض لتشكل وحدة واحدة وهذا من خلال تجاور المنازل الواحدة مع الأخرى حتى أنك لا تدرك أين يبدأ هذا المنزل وأين ينتهي، لكن بالمقابل هذه الوحدة في المنازل تشكل القصر كله كأنه كتلة واحدة. كما أن الزخارف والزينات تساهم كذلك في الوحدة العضوية لتعطي خاصية الاتصال والاستمرار .(أنظر الصورتان 11، 12)

إن الهندسة العضوية تقوم على مبدأ البساطة العضوية التي لا تتنافى والمبدأ الجمالي وإنما هي مسألة ترابط وتنظيم وتحيل إلى دلالة الهدوء والاستقرار والراحة، وهذا ما ينتابك كزائر إلى القصر، حيث تنعكس عليك من خلال طبيعة البناء البسيطة الممزوجة بالمواد الخام من الطبيعة وكذلك الاستمرارية التي تمنحها وحدة البناء وزخارفه، وهذا هو الحال بالنسبة لسكانه قديما الذين عكسوا طبيعة عيشهم مع القصر حتى تشربها وأرسلها لأجيال كثيرة بعدهم .

2.2.3 القصر والهندسة:

إن قصر تاغيت رغم بساطته وبساطة مواد بنائه إلا أنه لا يفتقر لعنصر الجمال الذي يعد أساس الهندسة المعمارية، فهو ينبع كما سبق الذكر من عنصر الوحدة والتكامل بين أجزائه وهو ما يوحي بالتعاطف وعدم التفكك والتنافر والاضطراب، لأننا جزء من الطبيعة وكل ما يوحي إليها يجعلنا طوعا ننسجم معه لأنه يحيلنا إلى الأصل في الخلق والبعد عن تكلف الهندسة في المدينة وضوضائها.

كما أن الطراز عنصر أساسي في الهندسة حتى أنه في العصر الحديث طرز كثيرة تحولت إلى مدارس عظيمة كل منها يدرس طرازه الخاص في الهندسة.

إلا أن قصر تاغيت نابع من الطراز العضوي للهندسة العضوية وهو نتيجة تناغمه مع الطبيعة من خلال تجاوبه مع الظروف والمؤثرات في قانون الحياة، الطبيعة والكون.

وتعد النسب في الهندسة أساس البناء السليم وهي العلاقة بين الأطوال، المساحات، الكتل والأحجام فهي التي تقرر وجود الانسجام من عدمه. حيث ترى الهندسة العضوية أن النسب والتناسب هي التي تخلق النظام والإيقاع للواجهات والمبنى ككل.

حيث يتحقق الإيقاع من خلال:

• **التكرار:** وهو الذي يحدد اتجاه العناصر وإدراك حركتها، ويتحقق من خلال إدراج خطوط، أقواس، مثلثات، مربعات، أو مجموعات لونية متباينة أو متدرجة، وهكذا تتحقق الاستمرارية المرتبطة بتحقيق الحركة. كما أن للتكرار معنى آخر وهو الجاذبية والتشابه في وحدات البناء لإضفاء وحدة متكاملة على البناء ككل .

إن قصر تاغيت يعتمد على التكرار وهو رسالة واضحة لزائريه عن مسار أزقته، فله بابان الأول للدخول والثاني يؤدي إلى الواحات، فمن خلال مجموع التكرار في الساحات، الأشكال وحركة الأزقة يوحي إما بالاستمرارية أو انتهاء المسار وبالتالي الحركة أو السكون، فقصر تاغيت يعج بالأشكال المتناغمة التي معظمها مثلثات وهي تؤدي غرض الحركة واتجاهها فغالبا ما نود توضيح التسلسل من خلال مخططات هرمية. إضافة إلى التكرار في المساحات المغطاة في الأزقة الضيقة التي أحيانا لا تؤدي غرض تدعيم الطابق العلوي بل تكون موضوعة لتحديد مسار وحركة الأشخاص إلى المخرج الآخر للقصر.(أنظر الصورتان 13، 14)

• **التدرج:** إن التدرج هو الذي يحدد الإيقاع العام للحركة داخل الفضاء، وهو يقوم على عنصران هامان جدا وهما الفترات والوحدات أو الأشكال، "وتندرج هذه الفترات في اتساعها مما يؤدي إلى سرعة أو بطئ الإيقاع، فحينما تندرج الفترات والأشكال بمسافات صغيرة يحدث إيقاع سريع والعكس عند تكرار الأشكال والفترات بمسافات كبيرة يحدث إيقاع بطئ. فالتدرج الواسع عادة ما يبعث الإحساس بالراحة والهدوء وذلك

بعكس التدرج السريع الذي ينقل العين سريعا من حالة إلى أخرى مضادة لها"(برواق، 2012: 147).

وهذا ما نجده في قصر تاغيت التدرج بين المساحات الواسحة والأزقة الضيقة، بحيث تجد نفسك في إيقاع سريع في الأزقة الضيقة وأحيانا تهرول لدرجة الوقوع ومرات أخرى تسترخي في الأماكن الواسعة. هذا الإيقاع فرضته طبيعة بناء القصر حيث نلاحظ رسالة واضحة من خلال الحركة السريعة والبطيئة الأماكن التي لا يجب أن يتوقف عندها الشخص المار وتلك التي لا بأس بالاستراحة فيها، وهذا كله راجع إلى طبيعة المجتمع المحافظ، حيث تجد أن الأمكان الضيقة ذات الإيقاع السريع غالبا ما تكون بمحاذات مداخل المنازل لهذا فالسرعة في المرور ضرورية لعدم كشف حرمات المنازل، بينما الأماكن الواسعة المتمثلة في الساحات قلما تكون بمحاذات المنازل، بل تكون إما بجوار دكان أو مسجد أو لا شيئ، حتى أن هذه الساحات تحتوي على مقاعد من الحجارة المبنية على الجدران للراحة والحديث والتجمعات. وبالتالي فالتدرج في القصر كشف عن عادات أخلاقية لطبيعة المجتمع التاغيتي في تلك الفترة وهذا من خلال دلالة التدرج في القصر. (أنظر الصور من 15 إلى 18)

إضافة إلى الجمال، الطراز والنسب فإن العناصر المعمارية والأشكال تؤدي الغرض الدلالي من خلال المحددات التشكيلية التالية:

• **الخطوط:** يختلف معنى الخطوط من مستقيم، منكسر أو منحني، فالخط المستقيم يوحي بالقوة، الاستقامة والعظمة، والخط الأفقي يوحي بالاتزان، والعمودي بالإندفاع أما المائل فيوحي بصفة عدم الاتزان و عدم الثبات.

أما المنكسر فهو يوحي بالحدة والاتجاه الواضح طبقا لحدة زواياه أما الزاوية القائمة فتوحي بالانضغاط مع الاتزان والثبات.

غير أن الخط المنحني دليل على الليونة والسلالسة أما الحلزوني فهو دلالة واضحة عن الديناميكية.

فقصر تاغيت هو مزيج من الخطوط التي تختلف طبقا لموقعها في القصر حيث نلاحظ أن جدران المنازل تعتمد الخطوط المستقيمة التي توحي بقوة ساكنيها واستقامتهم وأنها مجتمعات محافظة، كما نلاحظ في الأزقة والساحات الخطوط المنحنية التي تدل على الليونة والراحة والاستمرارية في الحركة والسلاسة وهذا دليل على حركة المرور في الأزقة ومدى ليونة شعبها مع بعضهم البعض إلا فيما تعلق بأمور الشرف والعائلة التي تعد حرمة يمنع انتهاكها تماما. (أنظر الصور من 19، 22)

• **السطح:** إن السطح الأفقي يوحي بالسكون بينما المائل فهو يوحي بالحركة الصاعدة أو الهابطة أما الرأسي فهو يوحي بالاندفاع للأعلى.

إن الأسطح الثلاث موجودة في القصر ولكل منها دلالة تواصلية خاصة، فنجد الأسطح الأفقية في الساحات والمنازل وهي تدل على السكينة والراحة بين أفراد العائلة الواحدة والسكينة بين الخلان والجيران في الساحات الواسعة، أما الأسطح المائلة نجدها في الأزقة وهي موجهة لحركة المرور فيها من مدخل القصر لمخرجه مرورا بالمنازل، أما الأسطح الشاقولية فنراها في المباني ذات أكثر من طابق واحد وهي إما المسجد العتيق بالقصر الذي يوحي بالارتباط الروحي بالله مباشرة عبر السماء أو بعض المنازل التي تندفع عاليا في دلالة واضحة على العزوة والجاه من خلال العائلة الكبيرة والأحفاد.

• **السقف:** "إن السقوف العالية تعطي الإحساس بالحرية والانفتاح والتهوية، أما السقوف المنخفضة تؤكد على انغلاقية الفضاء وتعطي شعورا بالألفة والاحتواء وإن الاختلاف في ارتفاعات السقف ضمن نفس الفضاء الداخلي أو من فضاء لآخر مجاور يساعد على تحديد حدود الحيز الفضائي ويفرق بين المساحات المتجاورة"(برواق، 2012: 158 - 159).

إن قصر تاغيت خليط بين المساحات المفتوحة والمساحات المسقفة، التي نجدها في المنازل، والممرارات الضيقة المسقفة، وما لاحظناه هو اعتماد السكان نظام الأسطح المنخفظة وهذا لعدة أسباب منها الهندسية الوظيفية والمتمثلة في اعتماد جذوع النخيل

القصيرة لضمان ثبات البناء وعدم سقوطه فكلما كانت أعمدة الغرف عالية كلما تعرضت للانهيار، بعكس ساحات المنازل نصف مغطاة والمعروفة "بالحوش" فأسقفها أعلى من أسقف الغرف التي تعتليها غرف أخرى لأنه لا يوجد ضغط عليها. أما من الناحية الدلالية فالغرف ذات الأسقف المنخفضة هي مساحات حميمية للنوم والاسترخاء، بعكس "الحوش" فهو مساحة للتجمع العائلي يسوده الاحترام والحشمة خاصة أن المجتمعات آنذاك كانت تعتمد على مفهوم العائلة الكبيرة التي تظم الجد، الجدة، الأعمام وزوجاتهم والأحفاد جميعا. وبين السقف المنخفض والمرتفع تتحدد خصوصيات الأفراد والخطوط الفاصلة بين الحشمة الرزانة والانطلاق والحريات. (أنظر الصورتان 23، 24)

• **الجدران:** إن الجدران هي الفاصل الوحيد بين الفضاء الداخلي والخارجي فإن كانت سميكة وثقيلة فهي تعزز فكرة الفصل بين الخارج والداخل وإن كانت شفافة خفيفة فهو نوع من الدمج بين المحيط الداخلي والخارجي.

فجدران منازل قصر تاغيت سميكة غليظة - رغم موادها البدائية – لا تسمح بمرور الغرباء ولا يمكن معرفة تفاصيل المنزل ولا ساكنيه وهذا لما تقتضيه الأعراف والتقاليد في هذا المجتمع الذي لا يسمح بكشف حرمات البيوت. (أنظر الصورتان 25، 26)

رغم أن جدران منازل القصر سميكة عازلة للفضاء الداخلي عن الخارجي إلا أن هناك فتحات مهمتها الربط بينهما تمثلت في الأبواب، النوافذ والسلالم.

• **الأبواب:** إن الأبواب هي المنفد الرسمي للانتقال من الفضاء الداخلي للخارجي وله عدة دلالات على حسب شكله وحجمه، فالباب الضيق دلالة على الامتحان والصبر وخصوصية فضائه الداخلي وهو ما نجده في أماكن التخزين في القصر، بعكس الأبواب الكبيرة العالية الدالة على القوة والانتصار وهو واضح في المدخل الرئيسي للقصر بباب كبيرة على عكس باقي الأبواب لتوحي بالقوة والفخر في المرافق لهذا القصر العظيم. أما

الأبواب القصيرة فهي دلالة على الخصوصية والحرمة فتضطرنا إلى الانحناء وخفض البصر عند الدخول. (أنظر الصور من 27 إلى 32)

• **النوافذ:** تختلف النوافذ الصغيرة عن تلك الكبيرة، فالصغيرة تعطي إيحاء بالتطويق وعدم الترحيب بالمشاهدة لإعطاء خصوصية أكبر للفضاء الداخلي بعكس النوافذ الكبيرة التي تشجع المشاهدة في دلالة على دمج الفضاء الخارجي بالداخلي.

حيث نجد في قصر تاغيت نوافذ صغيرة كثيرة في المنازل خصوصا تلك المتواجدة بالطابق العلوي والمطلة على الأزقة وهذا لمنح المكان مساحة للإضاءة والمشاهدة المحدودة، كما نجد فتحات في الأسقف تعرف "بعين الدار" لا تأخذ وظيفة المشاهدة بل هي منافذ للضوء والإنارة والتهوية خاصة وأن الكهرباء لم تكن موجودة آنذاك.

أما النوافذ الكبيرة فنجدها في الأزقة والتي تطل غالبا على الواحات، حيث لا يجد سكان القصر مانعا من حجمها لأنها لا تخترق خصوصية المنازل .(أنظر الصور من 33 إلى 38)

• **السلالم:** يختلف مدلول السلالم حسب حجمها فالكبيرة الواسعة توحي إلى الترحيب والاستقبال، بينما السلالم الضيقة تعني الخصوصية، وهو الحال بالنسبة للسلالم في منازل قصر تاغيت الصغيرة والضيقة فكلها تؤدي إلى الطابق العلوي أين توجد الغرف الخاصة بالأزواج لهذا فهي ضيقة توحي بالخصوصية، فسكان القصر يستقبلون ضيوفهم في ساحة المنزل نصف مسقفة المعروفة " بالحوش" وليس الغرف.(أنظر الصورتان 39، 40)

• **الألوان:** إن اللون السائد في قضر تاغيت هو اللون الترابي الذي يعد من الألوان الدافئة كالأصفر والأحمر والبرتقالي (سيفون، 2016: 39)، هو يعكس خاصية من خواص المنطقة أي الحرارة وكذا مدى دفء مشاعر سكان المنطقة وطيبة قلوبهم، وهو رمز للبساطة والتواضع والانصهار مع الطبيعة التي نرجع إليها مهما طال عمر الإنسان. (أنظر الصورتان 41، 42)

• **الأشكال الهندسية:** يغلب على القصر شكل المثلث الذي يرمز إلى "الصرامة، معرفة الهدف، القاعدة العريضة والمتينة، التاريخ الأصيل البناء المتماسك، التدرج، الصعود والرقي، الشموخ، وهو قد يدل على عناصر أو مكونات ثلاث مترابطة يشير إلى العلاقات المنطقية ويحيل على الفكر والتركيز"(سيفون، 2016: 42) وكل هذه الدلالات في رمز المثلث أكدتها عناصر سابقة من الرموز الهندسية التي درسنا في صفحات هذه الدراسة.

ومن الأشكال الهندسية كذلك نصف الدائرة وهو يتواجد أحيانا ويرمز إلى الدين الإسلامي أي المعتقد السائد في منطقة تاغيت.

ومن دلالات الطبيعة نجد الاستخدام الشائع للنخيل وهي توحي إلى الأصالة، التاريخ، العطاء، الفصول، الحزن، البرد، القسوة، العزلة، الغضب، التقلب، الهيجان، وكلها صفات متواجدة في القصر والمنطقة خاصة العزلة وقسوة الطبيعة التي تتقلب عليهم أحيانا من خلال فيضان الواد وأحيانا أخرى تكون معطاءة. (أنظر الصور من 43 إلى 46)

4.خاتمة:

من خلال هذه الدراسة تبين لنا أن قصر تاغيت لا يحمل المدلول التاريخي من أصالة وقوة وجمال فقط، بل يزخر كذلك بجملة من العلامات ذات المدلول التواصلي، حيث استطعنا من خلال استنطاق الرمز الهندسي أن نكتشف طرق العيش في قصر تاغيت ومجموع العادات والتقاليد والأحاسيس النفسية، وحتى مختلف الطبقات الاجتماعية من خلال الخطوط، الجدران، النوافذ، السلالم، وكذا الإيقاع المنتشر بين أزقة القصر والسكون في ساحاته.

هكذا وجدنا أن القصر وعاء للرموز ساحاته ثورة تاريخية، واجهته فن وإبداع وأزقته تجري فيها مكنونات تواصلية تربط الماضي بالحاضر في قالب جمالي أخاذ مازال يحارب قسوة الطبيعة.

5.قائمة المصادر والمراجع:

- الشرازي كمال (2019)، قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون، المتاح على https://elaph.com/Web/Reports/2009/3/417846.html :،يوم 2019/02/23 على الساعة 15:45.

- برواق أمال(2012)، *سميولوجيا الفضاء ودلالة التمثلات المعمارية*، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص سميولوجيا الاتصال، لإشراف د. فايزة يخلف، جامعة الجزائر3.

- رمضاني المعتز بالله (2019)، تاغيت.. لؤلؤة الصحراء الجزائرية الساحرة، المتاح على: http://www.hayatweb.com/article/111086 ، يوم 23 /2019/02 على الساعة 15:27.

- سيفون باية (2016)، *محاضرات في السميولوجيا*، مطبوع بيداغوجي في مقياس السميولوجيا موجه لطلبة السنة الثالثة إعلام واتصال، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

- هال إدوارد (2007)، *اللغة الصامتة*، تر: لميس فؤاد اليحيى، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع.

6.الملاحق:

الصورتان 2،1: قصر تاغيت ومدخله

المصدر: الشرازي ، قصر تاغيت العتيق: شاهد على تاريخ 10 قرون، 2019.

(مصدر كل الصور في الملاحق إبتداء من الصورة رقم 3 من تصوير الباحثة بقصر تاغيت)

الصور من 3 إلى 6: الصخرة التي يتربع عليها القصر

الصور من 7 إلى 10: المواد المستخدمة في بناء القصر

الصورتان 11، 12: استمرارية وحدة البناء من خلال اعتماد زخرفة وأشكال موحدة داخل القصر

الصورتان 13، 14: أشكال وممرات تتكرر على طول القصر لتحديد الحركة والاستمرارية

الصورتان 15، 16: ساحات واسعة توحي بالإيقاع البطيئ والراحة والهدوء والتجمع

الصورتان 17، 18: مساحات ضيقة توحي بالإيقاع والحركة السريعة لضمان حرمة المنازل

الصورتان 19، 20: أزقة بخطوط منحنية تدل على الاستمرارية والسلاسة في الحركة

الصورتان 21، 22: منازل بخطوط مستقيمة أفقية وعمودية توحي بالقوة الاستقامة والاندفاع في القيم

الصورتان 23، 24: غرف بأسقف منخفظة وساحات مرتفعة

الصورتان 25، 26: منازل بجدران غليظة لفصل الفضاء الداخلي عن الخارجي حسب ما تقتضيه الأعراف

الصور من 27 إلى 32: مختلف أنواع الأبواب بقصر تاغيت

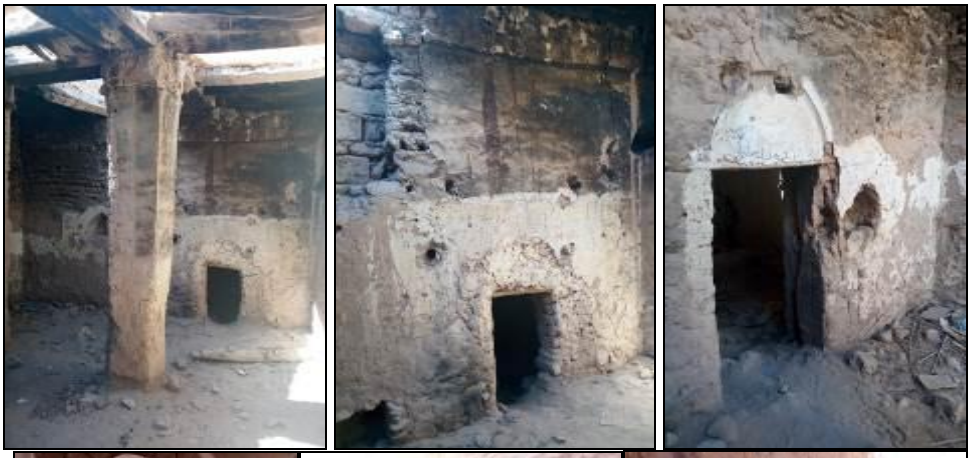

الصور من 33 إلى 36: مختلف أنواع النوافذ بالقصر الصغيرة والكبيرة

الصورتان 37، 38: منافذ للإنارة والتهوية في الأسقف " عين الدار"

الصورتان 39، 40: سلالم ضيقة توحي بالخصوصية وحميمية الأماكن

الصورتان 41، 42: اللون الترابي المائل للبرتقالي الفاتح إتحاد الطبيعة بالعمران

الصور من 43 إلى 46: الأشكال الهندسية المتواجدة في قصر تاغيت